# بين الشاعر والناظم

## في قصيدة « رهين » المحبسين

قرأت في مقتطف دسمبر سنة ١٩٤٨ قصيدة مهداة الى روح أبي العلاء المعري ( رهين المحبسين ) لناظمها ( كاظم مكي حسن ) والقصيدة كانت منصبة على مدح أبي العلاء ولم يبد فيها ناظمها رأيه في الشاعر بل ظهر بمظهر المؤيد الى أبي العلاء في جميع ما قاله أو ما تفلسف فيه . وكما يبدو من قصيدته أنه وقع في خطيء الرأي من جهة نظرته التأييدية المطلقة الى أبي العلاء . ولذا فيحق لي أن أنبه الناظم الى بعض هنات الرأي في قصيدته وأولها : أن الشاعر يحس به أن يبين مناقب ومثالب ممدوحه ويبدي رأيه الشعري في ممدوحه أو أن يبين تعليلاً يعلو به بعض مثالبه حتى لكأنه يظهرها كأنها من قبيل المناقب . وهذا لم نجده في القصيدة بل وجدنا الناظم قد استرسل في المدح وأقصر عن تبيان رأيه في متناقضات أبي العلاء المعري المعروفة وهل أدل من هذا من قوله .

خلق الناس أنه فضلت أمة يحسبونهم للفساد

وقوله :

تحطمنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يعاد له سبك

فما أوسع وأكبر التناقض بين الرأيين . إذ أن أحدهما ديني إرشادي والآخر كفري إلحادي غير مؤمن بالمعاد . وما يحق للبعض أن يرميه بالإلحاد .

وثانيها : لقد استرسل الناظم في تأييد أبي العلاء حتى لقد تحامل على [illegible] أنهم على حق في ذلك الأمر الذي يدل عدم انتباهه الى مواطن الضعف الظاهرة [illegible] موجم منها ممدوحه وأنه مهتم فقط في سرد السيدة في قالبها المقفى .

وثالثها . إن الناظم ينفي [illegible] نفياً قاطعاً عن ممدوحه وذلك في قوله [illegible] عرت إن نبذ الجمود ... ؟ ويعتقد في أنه ما [illegible] في حياته إلا الى حرية الرأي وحقيقة [illegible] أبي العلاء

وخواطره الشعرية تثبت عكس ما ذهب إليه ، إذ أن أبا العلاء في حياته أقرب الى الجمود منه الى الانعتاق في عالم الحرية .

وهل أدل على هذا من قوله .

« تعب كلها الحياة فما أعجب إلا من راغب في ازدياد »

وما الحياة لو دققت ، إلا نتيجة لتفاعل التفكير مع الطبيعة وموجوداتها .

وهل يوجد أكثر من قوله هذا تثبيطاً للهمم البدنية والفكرية . إنه الدعوة الى الجمود بأجلى مظاهرها . فكيف يؤكد ناظمنا تأكيداً قاطعاً بدعوته الى نبذ الجمود . وبأي دليل قطعي ؟ .

ورابعها : لقد استرسل صاحبنا في الاقتباس عن حياة أبي العلاء لتمسكه في جانب واحد منها حتى أنه لم ينتبه الى جانب الجمود في رأي أبي العلاء الذي نظمه بقوله :

وقلت تسائل الضأن للذبح عنوة وقسراً وتخشى في مرابطها الأسد

بقيت حصوراً لست ترضاك والدة تذل وتشقى في جنايته الولد

إن هذين البيتين — ولو يظهر في أحدهما جانب تعقل — ليدلان دلالة قاطعة على أن أبا العلاء جامد يائس يدعو الى الجمود إذ أن دفنه بالحيوان دعوة الى عدم اجراء التجارب الطبية عليه واستخراج الأمصال ، لو عرف هذا من قبل . وإذن فلا يسعى لتقدم فيه البشرية بموت حيوان مؤذ صغير . وفي هذا ما فيه من خنق الأفكار والمفكرين وهم في المهد . وأما دعوته لقطع دابر النسل خوف سوء التربية فهي كذلك دليل على جمود التفكير ولو سلكتها الناس لما وجدت هذه الحضارة واختراعاتها ، ولا آراء مفكري البشرية ، بل لقد تحولت الأرض الى بلاقع ليس فيها إلا اليعافير وإلا العيس . ورأيه كان سيد التفكير لطرأ له أنه قد يجيء في نسل المستقبل أناس مفكرون يستنبطون جميع الأغذية من النبات والمواد الكيميائية المستخلصة عن ذبح الحيوان . ورأفته غير حدود المعقول

سقت هذه الكلمات لأقلل من قيمة أبي العلاء كفيلسوف وكشاعر لأؤكد بأنه ليس متفرداً بالتفكير ، وأن ناظم القصيد مدح أبا العلاء بما أراده هو لا تعمق في النظر فيها .

وأملي أن ينتبه الى هذا والسلام .

القورنة البصرة نصير المعمر